Language Art,3(4): pp. 21-32, 2018, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2018.20
فصلنامه هنر زبان، دوره ۳، شماره ۴، سال ۲۰۱۸، از صفحه ۲۱ تا ۳۲

التراكم الصوتي في سورة الفيل تكامل التركيب والدلالة

الدكتور زهرالدين رحماني[1]
أستاذ محاضر قسم (أ)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر.

(Received: 24 November 2018; Accepted: 07 December 2018; Published: 09 December 2018)

ملخص
تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في التراكيب أثناء الكلام، فعندما يتحدث الانسان على سجية دون تكلف وعناء يمكن أن يؤثر بعض أصوات الكلمة في بعض، كما تتأثر الألوان بعضها ببعض، لهذا فدراسة دلالة التشكيل الصوتي تقتضي دراسة مفردات السورة وتراكيبها، وتسلسل الأصوات والعبارات، وهي ظواهر لا ترتبط بالأصوات في ذاتها فحسب، بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة، كالصوائت، والصوامت، والمقطع، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال التطبيق على سورة من سور القرآن الكريم ألا وهي سورة الفيل.

الكلمات الأساسية: التراكم الصوتي، الصوامت، الصوائت، المقاطع، الدلالة.

[1] Email: bachou2009@yahoo.fr

مقدمة

لكل لغة مستوياتها المتعددة التي تتشكل في النهاية كنظام، بحيث لا يتعارض فيه مستوى مع الآخر، فكل مستوى يؤثر ويكمل الآخر، فالمستوى الكتابي لا يتعارض مع المستوى النحوي أو الصرفي مثلا، وعلى أية حال فالمستوى الصوتي يخضع لتوزيع منسجم حيث لا يتعارض مع آخر أو موقع مع آخر. فالمستوى المقطعي والنبري والتنغيمي، كلها مجتمعة تشكل النظام الصوتي في أية لغة، ويؤدي المستوى الصوتي بالتعاون مع باقي المستويات وظيفة جلية وهامة في حياة اللغة(إنعام الحق غازي، ص٢١٣).

وقد أضفى القرآن الكريم على اللغة العربية صبغة خاصة أعاد صياغتها وتصنيعها ورسخ أقدامها، وأرسى من عمدها، ودعم من أصولها اللغوية، وأثرى من سماتها وخصائصها الصوتية، وطبع صرفها ومعجمها بطابع خاص فريد ومتميز، فالقرآن تَخيّر وانتقى الألفاظ المعبرة كما اقتضب الصيغ الصرفية الآثرة، كما قد كان له الباع الطويل في التصرف الإعرابي الدقيق الحكيم المعجز التركيب، والصياغة الثرية والمضمون الدقيق المحتوى، كما تخير لقراءته النمط الصوتي الأسمى والمعبر بأجراس أصواته وفواصله من جهة، وبنغمته العامة من جهة أخرى، وباعتماده وتركيزه الخاص من جهة ثالثة(ينظر: أحمد عبد التواب الفيومي، ص٥).

١- بين يدي سورة الفيل:

سنحاول في هذا المقام رصد وجوه الإعجاز الصوتي الذي تمثل في القرآن الكريم من خلال سورة من سوره وهي سورة الفيل، التي نزلت في جماعة قصدوا تخريب الكعبة، وما فعل الله تعالى بهم من إهلاكهم، وصرفهم عن البيت، وهي معروفة بروايات مطولة في كتب التفسير، ومختصرها: أنها نزلت تذكيراً لقريش بنعمته العظيمة، حين أراد أبرهة ملك الحبشة هدم الكعبة، ووجّه جيشه لهذه المهمة، معهم الفيلة الكثيرة بقصد توجيه حجّ العرب إلى بيت بناه أبرهة في اليمن، ولكن قدرة الله القاهر فوق كل تقدير واعتبار، إذ بعث عليهم طيراً جماعات سوداً، عند كل طير ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، وكان الحجر منها يقتل المرميَّ، وتتهرأ لحومهم جرباً وأسقاماً، فنزلت هذه السورة منبهة على الاعتبار بهذه القصة(ينظر: مصطفى مسلم، مج ٩، ص ٣٤٩).

٢- دلالة الفونيمات التركيبية في سورة الفيل:

تعد البنى الصوتية للألفاظ والعبارات القرآنية قائمة على الإحكام والدقة، وحسن الاختيار والوضوح والتكامل، لها إيقاعها المساير للموضوع والمغزى، لذا فإن البحث عن الدلالة الصوتية والولوج إلى مضمارها في القرآن الكريم أمر شائك وصعب المراس يستدعي بصيرة نافذة ونظرة ثاقبة متأنية، وقبل هذا وذاك لابد من امتلاك حس إيماني قوي، وذوق فني جمالي يحسن الربط بين المنطق الداخلي للأصوات؛ أي سماتها الصوتية ملامحها وهيأتها النطقية من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة الأحداث والمواقف، والبحث في دلالة الوحدات التركيبية لسورة الفيل يستدعي البحث في دلالة التشكيل الصوتي لمفردات السورة (الفونيمات) أولا، ودلالة تكرار الصوائت والصوامت ثانيا، ودلالة البنية المقطعية للسورة ثالثا(ينظر: فخرية غريب قادر، ص٢٠).

٣- مفهوم الفونيم :

تعددت الدراسات والبحوث حول مفهوم الفونيم (phonème)، مما أدى إلى تشعب وجهات النظر حوله، واتخذ اتجاهات فكرية ومدرسية متعددة، كان من أهم تلك المدارس اللسانية: مدرسة براغ اللغوية، ومدرسة كوبنهاجن، والمدرسة التوليدية(ينظر: محمد جواد النوي، ص١١٤)، والتي حاولت تقديم تعريف للفونيم كل من وجهة نظره ومنهجه في البحث اللغوي، وخلاصة هذه الآراء نتائج متماثلة تؤدي إلى أهداف علمية معينة، وتتلخص هذه النتائج والأهداف فيما يلي:

أ- الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى؛ أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ب- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الأجنبية فالأصوات الفعلية المنطوقة في أية لغة كثيرة كثرة فائقة، في حين أن فونيمات كل لغة تقل في عددها عن هذه الأصوات المنطوقة بالفعل وبصورة ملحوظة.

ج- لفكرة الفونيم دور مهم في ابتكار الألفبائيات أو نظم الكتابة بصورة ميسرة ودقيقة(سميرة بن موسى، ص٥١).

٤- أنواع الفونيمات:

قسم علماء اللغة المحدثون الفونيم إلى قسمين:

أ-الفونيم التركيبي: هو عبارة عن عنصر رئيسي يكون جزءاً أساسيا في الكلمة، نحو صوت الكاف في "كَتَبَ" (الصامت) والفتحة (الصائت)، وسميت بالفونيمات التركيبية لأنها تدخل في تركيب الكلام، ومنزلتها منزلة الطين في آنية الفخار.

ب-الفونيم فوق تركيبي: وهو صفة صوتية تتصل بالكلام المنطوق عند أدائه، كالنبر والتنغيم، والوقف، وهو ملمح صوتي غير تركيبي، لكنه يحمل رسالة صوتية، وله تأثير في معاني الكلمات والتراكيب، نحو: "جَاءَ الأُسْتَاذُ"، تنطق بنغمة مستوية وتكون إخبارية، وتنطق بنبر على الفعل لتصبح استفهامية، وتنطق بنبر على الفاعل لتصبح توكيدية .

٥- التحليل الصوتي لسورة الفيل:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

أ- الصوامت:

يقصد بها تلك الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين أثناء انتاجها إلى قدر كبير من التضييق، والتوتر، والاحتكاك، والغلق في بعض الأحيان، نحو أصوات: الثاء، والراء، والكاف،...(محمد جواد النوري، ص١٣٢)

وقد وردت الصوامت في سورة الفيل حسب الجدولين الآتيين:

الصامت	أ	ب	ت	ج	ح	د	ر	س	ص	ض
العدد	٦	٧	٤	٥	٢	١	٦	٢	٢	١
النسبة	٦.٦٦%	٧.٧٧%	٤.٤٤%	٥.٥٥%	٢.٢٢%	١.١١%	٦.٦٦%	٢.٢٢%	٢.٢٢%	١.١١%

الصامت	ط	ع	ف	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
العدد	١	٥	٦	٥	١٤	٩	٤	٤	١	٥
النسبة	١.١١%	٥.٥٥%	٦.٦٦%	٥.٥٥%	١٥.٥٥%	٩.٩٩%	٤.٤٤%	٤.٤٤%	١.١١%	٥.٥٥%

* التحليل:

بعد هذه العملية الإحصائية للصوامت في سورة الفيل وصلنا إلى النتيجة المدونة في الجدول التالي:

الرتبة	١	٢	٣
الصامت	اللام	الميم	الباء
التكرار	١٤ مرة	٩ مرات	7 مرات

لقد سجل صوت اللام انزياحا حضوريا عاليا بنسبة حضور ١٥.٥٥% في سورة الفيل، واللام من الحروف المستقر حالها عند اللغويين القدامى والمحدثين، لقد أعطى (محمود شاكر) اللام معنى محاكاة الصوت إذ يقول: "ألا ترى أن صوت اللام إذا حققته شبيه بالجرس الذي تسمعه من اصطدام شيء لين بشيء مثله، فيفرغ سمعك إليه فتصغي له"(محمود محمد شاكر، ج٢، ص٧٩)، وصوت اللام من الأصوات الجانبية، والتي يتسرب معها الهواء من جانبي اللسان، وفي العربية صوت جانبي واحد هو اللام، وفي وصف علماء الأصوات المحدثين عند نطق صوت اللام: "ترتفه اللهاة ليسد جزء قريب من قمتها الحلق الأنفي، ويمتد اللسان بشكل يكاد يكون مستقيما من مؤخره الذي يلامس قوسه اللثة الممتدة من الضاحك الأيمن إلى الضاحك الأيسر، مع هبوط الفك الأسفل"(فتح الله محمد الصغير، ص٨٦)

وعند نطق اللام توجد عقبة تمنع مرور الهواء، مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم، أو من أحدهما، وهذا هو معنى جانبية الصوت أو انحرافه؛ أي أن الهواء ينحرف مساره بسبب تلك العقبة ليسلك مسارا جانبيا، هذه الصفة المميزة لصوت اللام (الانحراف) تتساوق مع حال الفيل الذي انحرف عن مساره، وحاد عن التوجه لحدود بلد الله الحرام، فعندما وجَّهوه راجعا إلى اليمن قام يهرول، ووجَّهوه إلى الشَّام ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، وإذا صَرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم(ينظر: البغوي، ج٥، ص٣٠٦)، وفيه عظيم الدلالة على رعاية الله عز وجل لهذه البقعة المقدسة التي اختارها لتكون محتضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض.

أما صوت الميم فقد تواتر بالسورة تسع مرات، بنسبة قدرها ٩.٩٩%، والميم صوت شفوي، يحدث عند انتاج هذا الصوت ضغط على الشفتين، وتذبذب للوترين الصوتيين، وخروج الهواء من الأنف بسبب انخفاض سقف الحنك اللين إلى الأسفل، وإذا حاولنا الوقوف على دلالة هذا حرف نجد أن "من خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر، نحو أرم، أزم، ثلم، حسم، حطم،..."(هناء سعداني، ص٢٩٥) وقد سجل حضور صوت الميم معاني دقيقة عميقة في سورة الفيل، فقد "بَعَثَ اللَّهُ عَلَى أَبْرَهَةَ دَاءً في جسده فجعل تتساقط منه أَنَامِلُهُ كُلَّمَا سَقَطَتْ أُمْلُلَةٌ اتَّبَعَتْهَا مِدَّةٌ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ، فَانْتَهَى إِلَى صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطائر فِيمَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَا مات حتى انصدع صدره من قَلْبِهِ ثُمَّ هَلَكَ"(البغوي، ج٥، ص٣٠٧). أشارت دلالة صوت الميم إلى هذه المنّة العظيمة التي امتن بها الله سبحانه وتعالى على «قريش» إذ دفع عن بلدهم الحرام، وعن بيته الحرام هذا المكروه، وردّ عنهم هذا البلاء، وأخذ المعتدى على حرمة هذا البيت أخذ عزيز مقتدر... وبهذا وجدت قريش في هذا البلد أمنها، ووجدت في جوار البيت الحرام حماها، وصار لها في قلوب العرب مكانة عالية، وقدر عظيم، لا يستطيع أحد أن يحدّث نفسه بسوء ينال به أحدا من أهل هذا البلد الحرام، وقد رأى ما صنع الله بمن أراد به أو بأهله سوءا.

ومما يعضد دلالة الميم تكرار صوت الباء سبع مرات، بنسبة قدرها ٧.٧٧% والباء صوت شفوي المخرج، ويرى (حسن عباس) أن صوت الباء "بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعا بعد ضمة شديدة، فهو أوحى ما يكون بمعاني البَعْج والحفر، والقطع والشَّقِ، والتحطيم والتبديد والمفاجئة والشدة"(حسن عباس، ص١٠١)، ولهذا التوصيف الصوتي توظيف دلالي موحٍ بشدة للطريقة التي قهر الله بها قوم أبرهة، والتذكير بأن الله غالب على أمره، وأنه لا يغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم، بل هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا. يقول (ابن عطية الأندلسي) في تفسيره: "طير أبابيل جعلتهم كعصف مأكول؛ المعنى صاروا طينا ذاهبا كورق حنطة أكلته الدواب وراثته فجمع المهانة والخسة والتلف"(ابن عطية الأندلسي، ج٥، ص٥٢٤).

ب- الصوائت:

وهي الحركات، وقد سماها (الخليل بن أحمد) الحروف الهوائية؛ لأنها تخرج من هواء الجوف دون أن تقع في مدارج اللسان أو الحلق أو اللهاة(الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ج١، ص٥٧). ومن خصائصها:

١- تربط بالصوامت أثناء الكلام، فلا يمكن نطق صوت صامت دون الاستعانة بصائت، نحو : كَتَبَ.

٢- عند نطق الصوائت تهتز الأحبال الصوتية، وبالتالي هي أصوات مجهورة.

٣- تمتاز بالوضوح عند النطق بها، بحكم أن الصوت الصامت ينطق أولاً ثم يليه الصوت الصائت الذي يكون أكثر وضوحاً.

٤- في العربية هناك ستة صوائت، ثلاثة قصيرة (الفتحة، والضمة، والكسرة)، وثلاثة طويلة (الألف، والواو، والياء).

وقد وردت الصوائت في سورة الفيل حسب الجدول الآتي:

نوع الصائت	الصوائت القصيرة			الصوائت الطويلة		
الصائت	الفتحة (َ)	الضمة (ُ)	الكسرة (ِ)	(ـَا)	(ـُو)	(ـِي)
العدد	٣٧	٠٣	١٠	٠٣	٠١	٠٦
النسبة	%٦١.٦٦	%٥	%١٦.٦٦	%٥	%١.٦٦	%١٠
المجموع	%٨٢.٣٢			%١٦.٦٦		

من خلال العملية الإحصائية للصوائت يتضح لنا أن أكثر الحركات استخداما في السورة هي الحركات القصيرة نسبة ٨٢.٣٢ % في مقابل ١٦.٦٦% للحركات الطويلة، ويتضح أيضا أن الحركة القصيرة التي احتلت المرتبة الأولى من حيث التواتر هي حركة الفتحة ٣٧ مرة بنسبة ٦١.٦٦%، إذ تعد أخف الحركات، وأقواها إسماعا، وأكثرها قدرة على التعبير، فهي الحركة التي وصفت بالمتسعة، لاتساع مخرجها لهواء الصوت، ولأن اللسان يكون مستويا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، فينطلق الهواء من الرئتين، ويهز الأوتار الصوتية وهو مار بها(أروى خالد مصطفى عجولي، ص١٤٤)، فهي باتساعها وجهرها تفضي على السورة معاني فتح العقول والألباب والتدبر لتتسع دائرة الايمان، مما رأت من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا ببيته الحرام وأرادوا تخريبه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفًا على أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل؛ أي متفرقة، تحمل حجارة محمّاة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم(السعدي، ص٩٣٤).

في حين تتوافق الكسرة التي تكون الشفتان معها منبسطتين منفرجتين مما تضارع وضعية التبسم، إذ يشهد تواتر الكسرة في سورة الفيل نسبة ١٦.٦٦%، فأثناء قراتها يحدث انكسار الشفتين وانفراجهما وتراجعهما للخلف على صفحتي الوجه يشبه الابتسام العريض، لما فيه من دلالة على الشعور بالسرور لانتصار الله على المشركين، لأنه حينما تتدبر في معاني السورة تؤمن أن الأمر بيد الله، وأن الناصر والمنتصر هو الله، وأن النصر من عند الله، وأن الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بالنصر، ووعدهم ألا يجعل لأعدائهم عليهم سبيلا.

ج- المقطع:

المقطع الصوتي عبارة عن كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها، وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم وأصغر من الكلمة، يتكون من نواة مقطعية تكون عادة مؤلفة من صائت مصحوب بصامت واحد على الأكثر(ينظر: صلاح الدين سعيد حسين، ص١١٩)، واستقر رأي علماء الأصوات المحدثون على خمسة أنواع للمقاطع هي:

الرقم	نوع المقطع	مكونات المقطع	مثال
٠١	مقطع قصير جدا مفتوح	صامت + حركة (ص ح)	كَ
٠٢	مقطع متوسط مفتوح	صامت + حركة+ حركة (ص ح ح)	كَا
٠٣	مقطع متوسط مغلق	صامت + حركة+ صامت (ص ح ص)	مَنْ
٠٤	مقطع طويل مغلق	صامت + حركة+ حركة+ صامت(ص ح ح ص)	بَابْ
٠٥	مقطع طويل مزدوج الاغلاق	صامت + حركة+ صامت + صامت(ص ح ص ص)	بَيْتْ

لما كان للمقاطع دور كبير في العملية التواصلية، حيث تعد الجهاز التنظيمي الذي تتألف بواسطتها الكلمات، ويستقيم بها الكلام، والمرجع في وضوح المقاطع يعود لطبيعة الأصوات التي تشكله، فهي التي تحدد قمم الوضوح في الكلمة، وفقا لنوعية مقاطعها، كما تحدد المقاطع نوعية التشكيل المقطعي عند المتكلم؛ فالمقاطع المفتوحة تكون أوضح من المقاطع المغلقة، والمتكلم يميل دوما في انتقاء الكلمات المفتوحة لتحقيق الانسجام والتوافق بين أفكاره وألفاظه.

١- المقاطع في سورة الفيل:

المقطع	ص ح (/٠٠٠٠)	ص ح ح (/ / ٠)	ص ح ص (٠ / ٠)	ص ح ح (ص٠ / / ٠)
العدد	٢٥	٠٥	٢٥	٥
النسبة	%٤١.٦٦	%٨.٣٣	%٤١.٦٦	%٨.٣٣

من خلال ما قمنا به في الجدول السابق تبين أن عدد المقاطع بالسورة ستون (٦٠) مقطعاً، ويبدو جليا شيوع النوع الأول (ص ح) والثالث (ص ح ص) من المقاطع كونها الأكثر استخداما في الكلام العربي، لأن لها توافق حركي سريع مع الحالات الشعورية، والملاحظ أيضا تساوي عدد المقاطع المفتوحة (ص ح ح) مع عدد المقاطع المغلقة (ص ح ح).

تتميز المقاطع المفتوحة بالوضوح السمعي العالي؛ وذلك لعدم وجود إعاقة في النطق أثناء مرور الهواء، كما تتميز بقوة انتشار الصوت وارتفاعه مما يؤدي إلى تنبيه السامع وتبديد غفلته وسهوه، وهي صفات اكتسبتها من الصوائت القصيرة والطويلة التي تُختم بها(ينظر: جلول بلحوت، ص١٤٩). أما المقاطع المغلقة تتميز بالمنع والرفض بسبب وجود الصوت الصامت في آخرها، وهو الذي يصد الهواء المندفع من التجويف الداخلي؛ أي أن الهواء كان حرا طليقا مع الصائت (ص ح ص)، ثم فجأة يتعرض للمنع من طرف الصوت الصامت الأخير، وهذه السمة المميزة للمقاطع المغلقة وما فيها من قوة وثقل تجعلها مناسبة لحمل معاني ودلالات الرفض والمنع والتصدي(ينظر: جلول بلحوت، ص١٥٢)، وقد تناسبت مع فحوى السورة. فالظَّاهر من السورة أنَّ الخطاب للرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يذكر نعمته عليه، إذ كان صرف ذلِك العدوِّ العظيم عام مولده السَّعيد عَلَيْهِ السَّلامُ، وإرهاصا بنبوته، إذ مجيء تلك الطُّيور على الوصف المنقول، من خوارق العادات والمعجزات المتقدِّمة بين أيدي الأنبياء عليهِم الصَّلاة والسَّلام. وضلَّل كيدهم وأهلكهم بأضعف جنوده، وهي الطَّير الَّتي ليست من عادتها أنَّها تقتل(أبو حيان الأندلسي، ج١٠، ص٥٤٤).

٢- دلالات التشكيل المقطعي لسورة الفيل:

ومن الدلالات المستوحاة من التشكيل المقطعي لآيات وعبارات وألفاظ السورة ما يلي:

* قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

المقطع	ص ح / ٠	ص ح ح / / ٠	ص ح ص ٠ / ٠	ص ح ح ص ٠ / / ٠
العدد	١٠	٠١	٠٥	٠١

تبدأ فاعلية المقاطع الصوتية من ارتباطها الوثيق لتشكل التراكيب، والتناسب الحاصل بين المقاطع له دلالات توحي بها من خلال أنواع المقاطع، فكلما تواتر المقطع القصير في التركيب كان أكثر تعبيرا عن الحركة، والمتوسط يكون أثر بطأ، وهذا ما نلاحظه في هذه الآية حيث توالت المقاطع القصيرة فيها ١٠ مرات، هذا يوحي بأن الخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلم، وهو وإن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بتواتر أخبارها فكأنه رآها(ينظر: الشيرازي، ج٥، ص٣٣٩).

* قال تعالى: أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

المقطع	ص ح / ٠	ص ح ح / / ٠	ص ح ص ٠ / ٠	ص ح ح ص ٠ / / ٠
العدد	٠٢	٠١	٠٦	٠١

نلاحظ أن المقطع الأكثر تواترا في هذه الآية هو المقطع المغلق حيث بلغ عدد مرات تكراره الست مرات، وعرفنا فيما سبق أن المقاطع المغلقة تتميز بالمنع والرفض
وهذه الدلالة تتضح أكثر إذا وقفنا على معنى كلمة (لي) وقد ذكر (فخر الدين الرازي) في مفاتيح الغيب: " أَنَّ الْكَيْدَ هُوَ إِرَادَةٌ مُضِرَّةٌ بِالْغَيْرِ عَلَى الْخُفْيَةِ، وإِنْ قِيلَ: فَلِمَ سَمَّاهُ كَيْدًا وَأَمْرُهُ كَانَ ظَاهِرًا، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَرِّحُ أَنَّهُ يَهْدِمُ الْبَيْتَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، لَكِنَّ الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ شَرٌّ مِمَّا أَظْهَرَ، لأَنَّهُ كَانَ يُضْمِرُ الْحَسَدَ لِلْعَرَبِ، وَكَانَ يُرِيدُ صَرْفَ الشَّرَفِ الْحَاصِلِ لَهُمْ بِسَبَبِ الْكَعْبَةِ مِنْهُمْ وَمِنْ بَلَدِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَى بَلْدَتِهِ"(فخر الدين الرازي، ج٣٢ ص٢٩١)، وقدْ جعلَ كيدَهُم في تعطيلِ الكعبةِ وتخريبِها في تضييعٍ وإبطالٍ بأنْ دمَّرهُم أشنعَ تدميرٍ(أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، ج٢٠، ص٤٩٩).

* قال تعالى: وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

المقطع	ص ح / ٠	ص ح ح / / ٠	ص ح ص ٠ / ٠	ص ح ح ص ٠ / / ٠
العدد	٠٥	٠١	٠٥	٠١

عدد مقاطع الآية الثالثة اثنى عشرة مقطعا، منها ستة مقاطع مفتوحة مقابل ستة مغلقة، وبهذا تساوت كفتا الميزان الصوتي، ويتحقق التكامل والتوازن النطقي بين الطول والسعة والعطاء، وفي ظل هذا السياق، تظهر دلالة استدعائية، أن العذاب تساوى فيه الجميع من خطط ومن نفذ(ينظر: فخرية غريب قادر، ص١١٢)، يقول (البقاعي) في تفسير هذه الآية: "(وأرسل) وبين أنه إرسال عذاب بقوله: (عليهم) أي خاصة من بين من كان هناك من كفار العرب، وأشار إلى تحقيرهم وتخسيسهم عن أن يعذبهم بشيء عظيم لكونهم عظموا أنفسهم وتجبروا على خالقهم بالقصد القبيح لبيته، فقال تعالى معلماً بأنه سلط عليهم ما لا يقتل مثله في العادة: (طيراً) وهو اسم جمع يذكر على اللفظ، ويؤنث على المعنى، وقد يقع على الواحد، ولذلك قال مبيناً الكثرة (أبابيل) أي جماعات كثيرة جداً متفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواحي شتى فوجاً فوجاً وزمرة زمرة"(ينظر: البقاعي، ج٢٢ ، ص٢٥٦). وهذا التساوي يتوافق وتواتر المقاطع، وَكيف لا يكون سعيهم في الضياع والخسار، إذ أَرْسَلَ سبحانه بمقتضى قدرته الغالبة عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ أفواجا كثيرة متفرقة متفوجة من جنس واحد من الطير، مع كل واحد منها ثلاثة أحجار متساوية، تسقطها على جيش أبره بالتساوي فلا يسلم أي فرد من هذه الأحجار الثلاثة المتساوية.

*قال تعالى: تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾

المقطع	ص ح / ٠	ص ح ح / / ٠	ص ح ص ٠ / ٠	ص ح ح ص ٠ / / ٠
العدد	٠٣	٠٢	٠٥	٠١

تواترت جملة من المقاطع المغلقة في البنية المقطعية للآية، ونلحظ أن هذا الحضور للمقاطع المغلقة يضفي على إيقاع الآية شديد الوقع مناسبا لجو العذاب، معبرا تمام التعبير عن انغلاق باب الرأفة في وجه من يعتدي على حرمات الله، وورد في تفسير هذه الآية ما يلي : "ولما تشوف السامع إلى فعل الطير بهم، قال مستأنفاً:
(ترميهم) أي الطير (بحجارة) أي عظيمة في الكثرة والفعل، صغيرة في المقدار والحجم، كان كل واحد - منها في نحو مقدار العدسة، في منقار كل طائر منها واحد وفي كل رجل واحد.
ولما كان الشيء إذا كان مصنوعاً للعذاب كان أشد فعلاً فيه قال: {من سجيل} أي طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو"(البقاعي، ج٢٢، ص٢٥٧).

*قال تعالى: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

المقطع	ص ح / ٠	ص ح ح / / ٠	ص ح ص ٠ / ٠	ص ح ح ص ٠ / / ٠
العدد	٠٥	٠٠	٠٤	٠١

نلاحظ توافق نسبي بين المقطع القصير جدا والمقطع المتوسط وانعداما تاما للمقطع القصير ومقطع واحد ووحيد طويل ومغلق، ينبئ عن نهاية السورة ونهاية العقاب في نفس الوقت، فهذه فالآية تعبر عن حال جيش أبره الحبشي بعد نزول العذاب بهم، فهي تلقي بضلال من الجلال والعظمة لله سبحانه وتعالى، حيث شبههم بزرع أُكل حبه، في ذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم، أو كتَبْنٍ أكلته الدواب وألقته روثًا فيبس وتفرقت أجزاؤه، وشبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث، وفيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة، وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يُجدي طائلًا، حتى جعلهم رجيعًا إلا أنه عبر عن الرجيع بالمأكول، أو أشير إليه بأول حاله على طريق الكناية مراعاةً لحسن الأدب، واستهجانًا لذكر الروث(محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، ج٣٢، ص٣٣٧). وتعبر المقاطع القصيرة المفتوحة التي تتسم بالسرعة لسرعة النطق بها، سرعة عذاب الله، كما تتسم بالوضوح الصوتي وقوة الاسماع، لتتناسب مع موضوع الخطاب المحي بهلاك وزوال كل من يتعدى على حرمات الله، "وهذا الإهلاك في إعجابه هو من معاني الاستفهام التقريري في أولها -ألم تر-، فقد تعانق طرفاها، والتف أخراها بأولاها"(البقاعي، ج٢٢ ، ص٢٥٨).

خاتمة

في أثناء وقفتنا هذه مع دلالات أصوات ومقاطع سورة الفيل تبين لنا بوضوح وجلاء أن هناك وشائج وثيقة تربط بين صفة الصوت وصفة الحدث وذلك على جميع الأصعدة، سواء من حيث القوة والضعف، أو من حيث الشدة واللين، أو من حيث اليسر والعسر، كما لاحظنا استمرار هذا الترابط المتين بين زمن الحدث وزمن الصوت قصيرا كان، أم طويلا، أم متوسطا بينهما. والمتمعن المتفحص الحريص لهذه السورة يقف على توافق محكم وبيِّن بين مفردات السورة، وبين تسلسل وترتيب أصواتها، وتسلسل وترتيب مضمونها وأحداثها، ولا يخفى عليه أيضا تلك الدلالة المستمدة من الإيقاع المتولد من تجمهر وتكرار وتواتر صوت أو مجموعة من الأصوات تجمعها صفة معينة.

المراجع

١. القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، دار الغد الجديدة، المنصورة، مصر، ط١.
٢. إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (د ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ط.
٣. ابن عطية الأندلسي،(١٤٢٢ هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١.
٤. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي،(١٤١٩ هـ). اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١.
٥. أبو حيان الأندلسي،(١٤٢٠ هـ). البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط١.
٦. أبو محمد الحسين بن محمد بن الفراء البغوي،(١٤٢٠ هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١.
٧. أحمد عبد التواب الفيومي،(٢٠١٠). علم الدلالة اللغوية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط١.
٨. أروى خالد مصطفى عجولي،(٢٠١٤). النظام الصوتي ودلالته في سيفيات المتنبي وكافورياته، مذكرة ماجستير، جامعة النجاح ، فلسطين.
٩. إنعام الحق غازي وناصر محمود،(٢٠١٧). المقطع الصوتي وأهميته في الكلام العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، العدد٢٤.
١٠. جلول بلحوت،(٢٠١٥/٢٠١٦.). البنية الصوتية ودلالتها في ديوان الهوامش لنزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة باتنة١.
١١. حسن عباس،(١٩٩٨). خصائص الحرف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
١٢. الخليل ابن أحمد الفراهيدي،(د.ت.). العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.
١٣. سميرة بن موسى،(٢٠١١/٢٠١٢). ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة.
١٤. الشيرازي،(١٤١٨ هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١.
١٥. صلاح الدين سعيد حسين،(٢٠٠٩). التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي، رسالة ماجستير، جامعة تشرين.
١٦. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،(١٤٢٠ هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١.
١٧. فتح الله محمد الصغير،(د.ت.). الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١.
١٨. فخر الدين الرازي،(١٤٢٠ هـ). مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣.
١٩. فخرية غريب قادر،(٢٠١١). تجليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن.
٢٠. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي،(١٤٢١ هـ). تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١.
٢١. محمد جواد النوي،(١٩٩٦). علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١.
٢٢. محمود محمد شاكر أبو فهر،(٢٠٠٣). جمهرة مقالات، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي.
٢٣. مصطفى مسلم،(٢٠١٠). التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، ط١.
٢٤. هناء سعداني،(٢٠١٢/٢٠١٣). الحروف العربية، دراسة في تطورها والعلاقة بين الصوت والرسم والمعنى، أطروحة دكتوراه، جامعة ورقلة.

References

al-Quran al-Karim, berawāyat waraʃ en nāfe', Dar al-Qad al-Jadida, al-Mansura, Egypt, vol. 1.

Abdurahman ibn Nasir ibn Abdullah al-Saedi, (1999). *taysir al-karim al-rahmān fi tafsir kalām al-mannān*, researched by Abdurahmin ibn Ma'lla al-Luwayhiq, center al-Risalat.

Abu Hafas Saraj al-Din Umar ibn Ali ibn Adil al-Hanbali, (1998). *albāb fi ulum al-kitāb*, researched by Adil Ahmad Abdulmawjud, Dar al-Kutub al-elmiat - Beirut.

Abu Hayan al-Andulusi , (1999). *al-bahr al-muhit fi al-tafsir,* researched by Sedghi Muhammad Jamil, Dar al- Fekr- Beirut.

Abu Muhamad al-Husayn ibn Muhamad ibn al-Fira' al-Baghawi, (1999). *ma'ālim al-tanzil fi tafsir al-Qurān,* researched by Abdulrazzagh al-Mahdi, Dar Ehya al-Tarath al-arabi.

Ahmad Abdutawaab al-Fiumi, (2010). *elm al-dalalat al-lughawiat derāsat tatbighiya ala al-quran al-Karim*, a al-maktabat al-azhariya lelteras - Cairo, Vol. 1.

Al-Khalil ibn Ahmad al-Frahidy, (n.d.). *al-eyn*, researched by Mahdi al-Makhzumi, Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Shirazi, (1997). *anwār al-ulm wa asrār al-tawil*, reseached by Muhammad abdulrahman al-marashli, Dar Ehya al-Tarath al-arabi, Beirut.

Arwe Khalid Mustafa Ejuli, (2014). *al-nizām al-sawti wa delalatah fi sayfiāt al-mutanabiy wa kāfuriātih*, Master Thesis, An-Najah University, Palestine.

Enam al-Haq Ghazi wa Nasir Mahmud , (2017). al-maqtae al-sawti wa ahamiyat fi al-kalām al-arabi, *Journal of the Arab Section,* University of Punjab, Lahore, Pakistan, No. 24.

Fakhredin al-Razi , (1999). *mafatih al-ghayb*, Dar Ehya al-Tarath al-arabi, Beirut.

Fakhriat Gharib Qadir, (2011). *tajliat al-dalalat al-aihayiyat fi al-khitab al-Qurani* , Alam al-Kutub al-Hadith , Jordan.

Fathullah Muhamad al-Saghir, (n.d.). *al-khasāes al-natqiat wa al-fiziayiyat lelsawāmit al-raniniat fi al-arabiat* , Alam al-Kutub al-Hadith , Jordan.

Hasan Abbas, (1998). *khasayis al-harf al-arabiat wa ma'ānihā*, Manshurat Etehad al-Kutab al-arab.

Huna' Sa'dani, (2012). *al-huruf al-arabiat, dirasat fi tatawurihā wa al-alāqat bayn al-sawt wa al-rasm wa al-ma'nā,* PhD thesis, University of Ouargla.

Ibn Atiya al-Andolosi, (2001). *al-muharir al-wajiz fi tafsir al-kitāb al-aziz*, researched by Abdusalām abdulʃāfi Muhammad, Dar al-Kutub al-Elmia - Beirut.

Ibrahim ibn Umar ibn Hasan al-Robat ibn Ali ibn Abibakr al-Boqaey, (n.d.). *nazam al-darar fi tanāsub al-ayat wa al-suwar*, Dar al-Kitab al-islami, Cairo.

Julul Belhut, (2015). *al-baniyat al-sawti wa delālatehā fi divan al-hawāmif linazar qabani,* Master Thesis, University of Batna 1.

Mahmud Muhamad Shakir Abufahr, (2003). *jamhirat maqālāt*, researched by Adil Sulayman Jamal, Maktabat al-Khaniji.

Muhamad al-Amin ibn Abdullah al-Armi , (2000). tafsir hadaeq al-ruh wa al-rayhān fi rawābi ulum al-Qurān, Supervision and review by Hashem Muhammad ibn Husain Mahdi, Dar Tawq al-nejat, Beirut.

Muhamad Jawad al-Nawi, (1996). elm al-aswat al-arabiat, Manshurat Jamiea al-Quds al-Maftuhat.

Mustafa Muslim, (2010). *al-tafsir al-mawzui lisur al-Quran al-Karim*, Al Sharekah University.

Salaheddin Saeid Husayn, (2009). *al-taghayurāt al-sawtiat fi al-tarkib al-lughawi*, Master Thesis, Tishreen University.

Samirat ibn Musa, (2011). *malāmih al-sawtiat al-tarkibiat endibn Jenny*, Master's thesis, University of Ouargla

HOW TO CITE THIS ARTICLE

Rahmani, Zahreddine (2018). Accumulation of the Phonetic Voice of AL-Fil Sura Integration of Structure and Significance, *Language Art*, 3(4): 21-32, Shiraz, Iran. [in Arabic]

DOI: 10.22046/LA.2018.20

URL: http://www.languageart.ir/index.php/LA/article/view/93

Language Art,3(4): pp. 21-32, 2018, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2018.20
Article No.: 34.21.139708.2132

ORIGINAL RESEARCH PAPER

Accumulation of the Phonetic Voice of AL-Fil Sura Integration of Structure and Significance

Dr. Zahreddine Rahmani[1]
Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, University of Mohamed El-Bachir El-Ibrahimi Bordj Bou Arreridj, Algeria.

(Received: 24 November 2018; Accepted: 07 December 2018; Published: 09 December 2018)

This research is a phonological study of Al-Fil Sura. It combines theory and application in the Quranic phonological study to investigate syllabic phonological structure of Al-Fil Sura, to understand its syllabic texture, and to know the phonological harmony which is represented by repetition with its all types because of its importance in the association of the rhythmic and semantic function. This article provides each statement in details, so it is regarded as a comprehensive linguistic research.

***Keywords*:** Accumulation of Sound, Silences, Sounds, Syllables, Significance.

[1] Email: bachou2009@yahoo.fr